مُخطّط الحسم:
اليمين يملك مفتاح السّلام[1]

تقديم

نشر بتسلئيل سموتريتش في أيلول ٢٠١٧، رؤيته لحسم الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني التي حملت عنوان" مُخطّط الحسم: اليمين يملك مفتاح السّلام"، ونشرت في مجلة "هاشيلواح"، وهي مجلة يمينية تصدر في القدس ابتداء من العام ٢٠١٦، وتمول عن طريق "صندوق تكفا" (الأمل) وهو صندوق يميني محافظ جداً، وممول من قبل رأس مال يهودي أميركي معروف بدعمه لليمين الاستيطاني ومشاريعه الاستعمارية والتهويدية.

تكمن أهمية ترجمة الخطة من الدور السياسي المهم الذي يلعبه اليوم سموتريتش من حيث كونه زعيم التيار الحردلي الاستيطاني وهو التيار الأكثر تطرفاً من حيث جمعه بين التطرف القومي والتزمت الديني، ومن المنصب الرسمي الذي يشغله في حكومة نتنياهو السادسة كوزير ثانٍ في وزارة الدفاع، حيث تقع تحت مسؤوليته مباشرة المسؤولية عن الإدارة المدنية، إضافة إلى كونه وزير المالية، ما يجعل من رؤيته ليس مجرد تصورات نظرية وهلوسات سياسية بل خطة قابلة للدفع قدماً.

يؤسس سموتريتش رؤيته للحسم على الاعتقاد بأن حدود دولة إسرائيل يجب أن تتطابق مع حدود "أرض إسرائيل" التوراتية بما يشمل (وربما هذا هو الأهم من وجهة نظر الحردلية) تلال الضفة الغربية حيث "شومرون" ، و"حيفرون"، و"يهودا" وسبسطية وبيت إيل وأورشليم. ويعتبر أن "أوامر الرب" وتوصياته بالعودة إلى أرض إسرائيل والاستيطان فيها لا يجب أن تخضع إلى ألاعيب السياسة التي قد تدفع اليهود إلى "طأطأة" رؤوسهم أمام الدبلوماسية والمجتمع الدولي وحقوق الإنسان، ويرى سموتريتش

[1] ترجمه عن العبرية علاء حليحل.

بتسليئيل سموتريتش. (وكالات)

أن التـوراة هـي مصـدر التشريـع، وعندمـا تسـلم وزارة الماليـة في نهايـة كانـون الأول ٢٠٢٢، وهـي وزارة سـيادية تحتـاج الى "مهنيـة" و"خـبرة"، أجـاب عـلى سـؤال "رؤيتـه المسـتقبلية في إدارة ميزانيـة الدولـة" قائـلاً: "كلمـا طبقنـا التـوراة بحرفيتهـا، وطورنـا يهوديتنـا، كلمـا منّ اللـه علينـا بالخـير والوفـرة"! في صلـب التـوراة، تتمركـز وعـود "إلـه إسرائيـل" بمنـح "أرض إسرائيـل" إلى "شـعب إسرائيـل" الـذي يرفـع مـن شـأن "تـوراة إسرائيـل" إلى مرتبـة الدسـتور الأوحـد. ولا بـد مـن الإشـارة إلى أنـه، عـلى العكـس مـن التيـار المتزمـت دينيـاً (الحريـدي) الـذي يقتـصر نشـاطه بشـكل عـام عـلى الممارسـة الدينيـة، فـإن التيـار الحـردلي الـذي يجمـع بـين التزمـت الدينـي (الحريـدي) والتطـرف السـياسي، طـور هويـة عسـكرية مقاتلـة و"مبـادرة" وفقهـا تحمـل البندقيـة بيـد والتـوراة باليـد الأخـرى. كمـا يتمايـز التيـار الحـردلي عـن باقـي تيـارات الصهيونيـة الدينيـة في سـلفيته، وقيمـه المحافظـة، والرافضـة بدرجـات متفاوتـة لقيـم الحداثـة التـي تسـمح بالمسـاواة بـين الشـعوب في حقهـا في تقريـر المصـير، أو بـين الجنسـين في الحقـوق والواجبـات، أو بـين اليهـود والأغيـار في "الحـق والكرامـة"، فالحداثـة تعتـبر، حسـب الحردليـين، مسـتقنعاً مـن شـأنه أن يغـرق اليهـودي المتزمـت في "قـذارات دنيويـة" قـد تبعـده عـن شريعـة الـرب. انتقلـت هـذه الهويـة الصهيونيـة الدينيـة المتطرفـة، مـن هامـش العمـل السـياسي في إسرائيـل إلى مركـزه، وتحـول شـخوصها إلى وزراء ذوي حقائـب سـيادية وقادريـن عـلى تمريـر أجندتهـم السياسـية مـن خـلال مؤسسـات الدولـة؛ ومـن هنـا تنبـع أهميـة هـذه الترجمـة كمـا أشرنـا التـي نقدمهـا هنـا لأول مـرة بشـكلها الكامـل.

عنـد قـراءة هـذه المخطـط، لا بـد مـن الأخـذ بعـين الاعتبـار ثـلاث قضايـا مهمـة:

- أولاً، يقـترح سـموتريتش أن ننظـر إلى "مخطـط الحسـم" باعتبـاره "تغيـيراً جذريّـاً ومغايـراً تمامـاً لمـا اعتـاد [الإسرائيليـون] عـلى التفكـير بـه في العقديْـن الأخيريْـن". والتفكـير السـائد، كان ينـزع إلى "إدارة الـصراع" بأشـكال مختلفـة سـواء في صيغتـه اليسـارية التـي تديـر الـصراع

تحت عنوان "العملية السلمية"، أو في صيغته اليمينية التي تديره لاعتبارات "أمنية". في كل الحالات، فإن التفكير السائد في إسرائيل حيال الفلسطينيين هو إرجاء اتخاذ قرارات حاسمة تتعلق بمستقبل أراضي الضفة الغربية وطبيعة الكينونة السياسية- الوظيفية للفلسطينيين إلى مرحلة غير معلومة. اليوم، لا يستطيع اليسار الصهيوني، أو اليمين البراغماتي، أن يضعا تصوراً لنهاية الصراع، تماماً كما أنهما غير قادرين على "إخلاء" المستوطنين من الضفة الغربية والقدس؛ ومن هنا يمكن أن نقرأ "مخطط الحسم" باعتباره "أجندة سياسية" أخرى قد تبدو أكثر "معقولية" من وجه نظر التيار الاستيطاني بحيث أن تنفيذها يستوجب، حسب سموتريتش، "الشجاعة".

- ثانياً، يقدم سموتريتش لمخططه من خلال إعادة اجترار الخطاب الاستعماري الكلاسيكي في ما يتعلق بمفهوم المستوطن- الأصلاني، ولفظه بشكل مباشر: الإسرائيليون هم الأصلانيون، بينما الفلسطينيون هم مارقون غرباء. في سعيه إلى "أصلنة المستوطن"، و"غربنة الأصلاني" يحفر سموتريتش في ايتمولوجيا الكلمات ليروي لنا جدور مصطلح "فلسطين"، "يهودا" وغيرها. من هنا، فإن "مخطط الحسم" هو حوصلة نهائية للرؤية الاستعمارية الصهيونية بشكلها الأكثر نضوجاً وصلافة، بدون مواربات أو كياسة خطابية.
- ثالثاً، قد لا يجب أن ننظر إلى "مخطط الحسم"، بكل ما يشمله من مراحل وتوصيات، على أنه فانتازيا استيطانية. بل إن هذا التيار اليميني الديني الاستيطاني (الذي تعتبر الحردلية أحد نسخه الأكثر تطرفاً)، يسعى منذ سنوات إلى الهيمنة على الخطاب والممارسة الإسرائيلية، ولا يكتفي بأن يكون مجرد تيار ينبح بينما تسير القافلة الصهيونية بغير هداية. من جهة، التيار الحردلي حظي بمكانة سياسية تنفيذية في حكومة نتنياهو السادسة، بحيث حصلت قائمة الصهيونية الدينية على ١٤ مقعداً، من بينها ٧ مقاعد لحزب الاتحاد القومي الحردلي بزعامة سموتريتش، ومقعد واحد لحزب نوعام الحردلي (الذي يركز عمله على الأسرة، والحياة المدنية، والزواج). إضافة إلى ٦ مقاعد لحزب "قوة يهودية" الكاهاني الذي يشارك الحردليين بالكثير من النقاط الأساسية الواردة أدناه. كما أن الحردليين باتوا متواجدين في معظم الأحزاب السياسية الإسرائيلية ولا يقتصرون حصراً على قائمة الصهيونية الدينية. يضاف إلى ذلك، وربما هذا هو الأهم، تشكيلة واسعة ومنوعة من منظمات المجتمع المدني، والمؤسسات الفكرية (Think tanks)، والأطر الشبابية والطلابية، والمدارس الدينية-العسكرية وصناديق التمويل والممولين المناصرين الذي يحابون "مخطط الحسم". وعليه، قد لا نقترح في هذه الترجمة أن ننظر إلى "مخطط الحسم" على أنه بات الخطاب الرسمي لإسرائيل، لكننا نقترح في المقابل أن ننظر إليه باعتباره خطاباً صاعداً، يلاقي المزيد من القبول، ويحظى بأدوات عديدة قد تساعده على فرض نوع من الهيمنة السياسية على الخطاب والممارسة الإسرائيلية في المستقبل.

وليد حباس-هيئة تحرير "قضايا إسرائيلية"

مُخطّط الحسم: اليمين يملك مفتاح السّلام

بتسَلئيل شموتريتش

نموذج "الدّولتيْن" وضع إسرائيل على طريق مغلقة: يأس من إمكانيّة إنهاء الصّراع واتخاذ منحى "إدارته" كقدر مُحتّم وقاسٍ وأبديّ. البديل متعلّق بجاهزيّة المجتمع الإسرائيليّ للتوصّل إلى الحسم، الذي ينبني في أساسه على الإدراك بأنّ لا مكان في أرض إسرائيل لحركتيْن قوميّتيْن متضاربتيْن

ثمّة مثل شعبيّ شهير يُنسب إلى ألبرت آينشطاين، يقول إنّ "الجنون هو القيام بالأمر ذاته مرّةً بعد أخرى، وتوقّع الحصول على نتائج مختلفة". ويبدو في واقعنا السياسيّ المُعاش أنّ هذا الجنون قد ترسّخ وتجذّر؛ فاليسار الإسرائيليّ يعود مرّة بعد أخرى إلى

حلـول "بسـيطة وآمنـة" لإنهـاء الـصّراع الإسرائيليّ-العربيّ، ومـرةً تلـو الأخـرى نشـاهد فشـل هـذه الحلـول وإفلاسـها. علينـا أن نفعـل شـيئًا مـا في هـذا الصّـدد، وإلّا فـإنّ هـذه المحـاولات سـتتواصل إلى الأبـد وستسـتمرّ في تأجيجهـا للآمـال وأحـلام اليقظـة. لقـد حـان الوقـت للتوقّـف عـن ذلـك، وكسـر هـذا النّهـج والعثـور عـلى المخـرج اللائـق مـن هـذه الطريـق التـي تبـدو مـن دون نهايـة.

يكمـن في صلـب مقترحـي الـذي أضعـه أمامَكـم تغيـير جـذريّ ومغايـر تمامًـا لمـا اعتدنـا التفكـير بـه في العقديْـن الأخيريْـن. إعـادة التفكـير تسـتوجب الشـجاعة، ويبـدو أنّ لا مفـرّ مـن ذلـك. فغالبيّـة المُخططـات والبرامـج السياسـيّة التـي طُرحـت في السّـنوات الأخـيرة، مـن اليسـار واليمـين، توفّـر "حلـولًا" تُكـرّس الـصّراع وتدفعنـا جميعًـا إلى مواصلـة إدارة هـذا الـصّراع مئـة سـنة أخـرى. مقابـل ذلـك، فـإنّ مُخطّـط الحسـم المطـروح هنـا يشـتمل عـلى حـلٍّ حقيقـيّ وعمـليّ وقابـل للتحقيـق مـن أجـل إنهـاء الـصّراع وتحقيـق السّـلام الحقيقـيّ.

يختلـف هـذا المُخطّـط عـن سـائر المُخططـات الأخـرى في أنّـه يواجـه صُلـب المشـكلة، ويتطـرّق بشـجاعة إلى جـذور الـصّراع، وإلى جـذور الفشـل في المـاضي والمسـتقبل، وإلى كلّ "الحلـول السياسـيّة". لا يوجـد أيّ فـارق بـين الخرائـط التـي يرسـمها المبـادرون للمُخطّطـات السياسـيّة عـلى اختلافهـا، حتّـى في مـا يُسـمّى "اليمـين"؛ فشـارون وأولمـرت ونتنياهـو- كلّهـم كانـوا يملكـون خرائـط، لكـنّ السّـلام لـن يحـلّ هنـا مـا دامـت نقطـة الانطـلاق تقـول بـأنّ قـدر هـذا البلـد يُحتّـم عليـه احتـواء جماعتـيْن تحمـلان تطلّعـات وطموحـات قوميّـة متناقضـة. ومـا دام الأمـر كذلـك، فـإنّ أحفادنـا وأبنـاء أحفادنـا سـيُضطرّون هـم أيضًـا لمواصلـة العيـش في حـروب مُتواصلـة.

سأسـتعرض في الصّفحـات الآتيـة "مُخطّـط الحسـم"، الـذي يُشـكّل حـلًّا شـاملًا لا يتّسـم بالـبراءة، عـلى الرغـم مـن كونـه حـلًّا تفاؤليًّـا، وهـو حـلّ لا يسـتخفّ بالصعوبات عـلى الرغـم مـن كونـه حـلًّا يتّـم بالإيمـان الصّـادق. أيمـان بقـوّة وصلابـة إسرائيـل، وبعدالـة نهجنـا وانتمائنـا الحـصريّ إلى أرض وطننـا؛ إيمـان بقوّتنـا عـلى الصّمـود في وجـه أيّ ادّعـاء قـد يهـزّ هـذا الإيمـان، والإيمـان بقدرتنـا عـلى مُمارسـة البطولـة المطلوبـة مـن أجـل تحقيـق الحسـم في هـذه المعركـة الصّعبـة والمهمّـة.

***

مُكاشَفة قبل أن نبدأ:

أنـا إنسـان مؤمـن. أؤمـن باللـه تعـالى، وبحبّـه لشـعب إسرائيـل وبعنايتـه لـه. أؤمـن بالتـوراة التـي حذّرتنـا مـن المنفـى ووعدتنـا بالخـلاص. أؤمـن بأقـوال الأنبيـاء الذيـن تنبّـأوا بالخـراب، وأؤمـن أكثـر مـن ذلـك بإعـادة البنـاء التـي نحظـى برؤيتهـا وهـي تتجسّـد أمـام أعيننـا. أنـا أؤمـن بـأنّ دولـة إسرائيـل هـي بدايـة خلاصنـا، وبأنّهـا التجسّـد لتنبـؤات التـوراة ورؤى الأنبيـاء.

أنـا أؤمـن بالعلاقـة النابضـة بين شـعب إسرائيـل وأرض إسرائيـل، وبمهمّـة شـعب إسرائيـل ورسـالته للعالـم كلّـه، وبحيويّـة أرض إسرائيـل مـن أجـل تحقيـق هـذه الرّسـالة. أنـا أؤمـن بـأنّ ازدهـار ونمـوّ أرض إسرائيـل بالـذات بعـد عـودة شـعب إسرائيـل، لـم يكونـا مـن قبيـل الصدفـة، وذلـك بعـد أجيـال طويلـة مـن الإهمـال والضمـور.

أنـا أؤمـن بـأنّ تـوق الأجيـال كلّهـا لهـذا البلـد، والقناعـة التامّـة بعودتنـا إليـه، همـا القـوّة المُحرِّكـة الأكثـر عمقًـا لمسـارات العـودة إلى صهيـون التـي أفضـتْ إلى إقامـة دولـة إسرائيـل.

مـع ذلـك، لـن تجـدوا في هـذه المقالـة أيّ شيء يسـتند إلى هـذا الإيمـان. هـذه المقالـة ليسـت بيانًـا دينيًّا-معتقديًّـا بـل هـي مُخطّـط واقعـيّ وجيوسـياسيّ وإسـتراتيجيّ. لقـد نشـأ هـذا المُخطّـط مـن خـلال تحليـل الواقـع وجـذوره المتأصّلـة، وهـو يرتكـز إلى فرضيّـات أساسـيّة حقائقيّـة وتاريخيّـة وديمقراطيّـة وأمنيّـة وسياسـيّة خارجيّـة، تـؤدّي كلّهـا إلى حـلّ أعتقـد بشـكل شـخصيّ أنّـه الحـلّ الوحيـد المُمكـن تحقيقـه عـلى أرض الواقـع، خصوصًـا إذا مـا قارنّـاه بسـائر الحلـول المقترحـة مـن دون توقّـف.

هـذا المسـتند هـو مُخطـط واقعـيّ، لكنّـه يندمـج جيّـدًا مـع معتقداتـي وأيماناتـي. هنـاك مـن يُفضّـل أن يـرى فيـه حـلًّا سياسـيًّا فحسـب، لكنّنـي أدعـو مـن يقـرأه للتعامـل معـه عـلى أنّـه نقطـة التقـاء بـين الإيمـان والواقعيّـة، وبـين الرؤيـا والواقـع.

خلفيّة

طـوال أكثـر مـن مئـة سـنة عـلى وجـود الصّهيونيّـة اضطـرّ الشـعب اليهـوديّ للنضـال مـن أجـل مُجـرّد حقّـه في الوجـود كشـعب ذي سـيادة في دولتـه المُتجـدّدة في أرض إسرائيـل.

يتبـدّل هـذا النضـال الوجـوديّ ويتغـيّر مـن مـرّة لأخـرى، وهـو مـليء بالمعـارك الكثـيرة، وبالكثـير مـن

الانتصارات أيضًا والحمد للّه. لكنّ هذا النّضال لم يُحسم حتّى اليوم. فحتى اللحظة هناك أشخاص من بين سُكّان هذا البلد يرفضون الاعتراف بحقّ دولة إسرائيل بالوجود كدولة الشّعب اليهوديّ، ويواصلون طيلة الوقت محاولة تقويض مُجرّد وجودها وهُويّتها اليهوديّة. نحن نرى أنّ هذه المعركة تُدار في العقود الأخيرة بشكل خاصّ في داخل ما يُسمّى "السّاحة الفلسطينيّة" مع عرب يهودا والسّامرة، الذين يسعوْن لإقامة دولة عربيّة في حدود ١٩٦٧، إلّا أنّهم لم يُخفوْا قط أنّ هذا ليس إلّا محطة في الطريق الحقيقيّة: العودة إلى حيفا ويافا والرملة وطبرية، وإقامة دولة عربيّة على أنقاض دولة إسرائيل. هذا ما يُربّون أولادهم عليه في البيت والمدرسة والمُخيّمات الصيفيّة، ولا أحد يُنكر أنّ هذا يشكّل الرّوح المُؤسِّسة لـ "القوميّة الفلسطينيّة".

يسعى المُخطّط الذي بين أيديكم إلى مواجهة هذه المسألة بعيْنها: وجود طموحيْن قوميّيْن متناقضيْن في أرض إسرائيل، وهو أمر لا يمكن حصوله في الوقت ذاته بحسب ما يدلّنا الواقع عليه. ثمّة فنتازيا تقول بإمكانيّة تحقيق هذيْن الطموحيْن سويةً، وهي ترافق الحركة الصّهيونيّة منذ نشأتها: فحتى في سنوات الثلاثينيات والأربعينيات، قبل قيام الدولة، عندما كان بالإمكان التوصّل إلى تفاهمات مع العرب الذين يعيشون في البلد، رفض عرب أرض إسرائيل بدعم من الدول العربيّة كلَّ مُخطّطات التقسيم المختلفة التي كانت القيادة الصهيونيّة على استعداد لقبولها، على الرغم من أنّها مَنوطة بالتنازل عن أجزاء من أرض إسرائيل. وحتى بعد قيام الدّولة وعلى طول سنوات وجودها، وافقت دولة إسرائيل على التسويات والتقسيمات التي كان بإمكانها أن تفضي إلى إقامة دولة عربيّة- فلسطينيّة في أرض إسرائيل، إلّا أنّ الجانب العربيّ رفضها مرّةً تلو الأخرى.

وهكذا نرى أنّ الموقف العربيّ المتواصل يُثبت أنّ "حلّ الدولتيْن" هو حلّ غير واقعيّ بالمرّة، دعْ عنكَ كونه حلًّا مغلوطًا من الناحية القِيميّة والصهيونيّة: أقصى ما يُمكن لليسار الإسرائيليّ منحه هو أقلّ بكثير من الحدّ الأدنى الذي يُمكن لقائد عرب يهودا والسامرة الأكثر اعتدالًا قبوله من دون أن يُقتل. لذلك، رأينا القادة الفلسطينيّين يرفضون في أوقات الحسم -بدءًا بخُطّة التقسيم ومرورًا بكامب ديفيد والتفاوض مع أولمرت- التوقيعَ على اتفاق سلام يحوي فيه نهاية المطالب الفلسطينيّة.

هذا تناقض بُنيويّ، ومَردُّه إلى تطوّر مصطلح "الشعب الفلسطينيّ". ففي جوهره "الشعب الفلسطينيّ" ليس إلّا حركة ضدّيّة للحركة الصهيونيّة- هذا هو جوهره وحقّه في الوجود. حتّى الداعمين لحقّ تقرير المصير الفلسطينيّ يعلمون أنّ مثل هذا "الشعب" لم يكن موجودًا قبل المشروع الصهيونيّ، وأنّ "فلسطين" كانت الكنية الجغرافيّة لهذه الأرض لا أكثر، وهي تسمية أطلقها الرومان لا العرب. بعد قمع الثورات اليهوديّة جرى ترميم أورشليم كمدينة رومانيّة وسُمّيت "أيليا كابيتولينا"، فيما جرى تغيير اسم منطقة يهودا (Judaea) إلى "سوريا (سيريا) پالستينا" (Syria Palestina) بغية محو أيّ ذكر لليهود. وقد اشتقّ الاسم من كلمة "فليست"- أي أرض الفلستيين. وهكذا نرى رمزيّة ما حدث: أيّام خرابنا التي نبكي عليها في "التاسع من آب"، هي التي أدّت إلى ولادة كلمة "فلسطين". عندما احتلّ العرب أرض إسرائيل في القرن السّابع الميلاديّ تبنّوْا الاسم الرومانيّ "فلسطين"، فيما ظلّت المنطقة الشماليّة تُسمّى "سوريا". وبعد مرور ١,٥٠٠ سنة تبنّى عرب أرض إسرائيل هذه التسمية في نضالهم ضدّ الحركة الصهيونيّة، التي أتت لإعادة الأرض إلى اليهود، وهم اليهود ذاتهم الذين سعى الرومان لمحوهم.

كان في "فلسطين" العثمانيّة والانتدابيّة يهود فلسطينيّون هاجروا إليها في الأيّام الأولى للصهيونيّة، وعرب فلسطينيّون كان بعضهم فيها في الماضي، وغالبيتهم هاجروا إليها من الدول المجاورة في العصر الحديث لأسباب مختلفة.

الحركة القوميّة الفلسطينيّة هي حركة نافية للصهيونيّة، وكونها كذلك فإنّها غير قادرة على إبرام السلام معها. هذا هو السّبب في أنّ الفلسطينيّين يرفضون المطلب البسيط الذي طلبته دولة إسرائيل منهم وهو الاعتراف بحقّها في الوجود كدولة يهوديّة. في هذا الشأن تختلف المسألة الفلسطينيّة عن الصّراع مع الدول العربيّة. مصر والأردن هما دولتان مُستقلّتان لا يرتبط وجودهما بدولة إسرائيل. من الجائز أنّ حربهما ضدّ دولة إسرائيل بغية تدميرها كانت مهمّة لهما كجزء من الرّوح الإسلاميّة أو العربيّة، إلّا أنّها لم تكن كامنة في مُجرّد تعريفهما كدولتيْن. لذلك كان بالإمكان

إبـرام اتفاقيتـي سـلام معهمـا. إلّا أنّ هـذا الأمـر يختلـف عمّـا هـو عليـه في الـصّراع الإسرائيـليّ- الفلسـطينيّ. فمـن دون "الـصراع"، ومـن دون محاربـة إسرائيـل، لا توجـد قوميّـة فلسـطينيّة. وعـلى كلّ حـال فـإنّ احتمـال وجـود الصهيونيّـة والقوميّـة الفلسـطينيّة سـويّةً في أرض إسرائيـل، ضمـن تقسـيمة جغرافيّـة مـا، هـو احتمـال معـدوم.

يشـير واقـع العقـود الأخـيرة إلى مـدى صـدق وصحّـة هـذا الفـارق البسـيط. فمواصلـة وجـود هذيْـن الطموحـيْن القوميـيْن المتضاربـيْن في رقعـة الأرض الصغـيرة هـذه التـي تخصّنـا، سـتضمن لنـا الكثـير مـن سـنوات الـدّم والحـروب مسـتقبلًا. لذلـك فـإنّ السّـلام المُرتَجـى لـن يتحقّـق إلّا عندما يتنـازل أحـد الطرفـيْن -طواعيـةً أو قسـرًا- عـن طموحاتـه وتطلّعاتـه القوميّـة في أرض إسرائيـل، وسـيكون بالإمـكان عندهـا تحقيـق حيـاة تقـوم عـلى التعايـش المدنـيّ.

كُلّي أمـل أنّ جميـع القـرّاء يُشـاطروننـي مـا سـأقوله الآن، بأننـا نحـن اليهـود لـن نتنـازل عـن طموحاتنـا القوميّـة بدولـة مسـتقلّة في أرض إسرائيـل، وهـي الدولـة اليهوديّـة الوحيـدة في العالـم. وعليـه، فـإنّ الجانـب العربـيّ هـو الـذي سـيضطرّ للتنـازل عـن هـذا الطمـوح بتحقيـق هُويّتـه القوميّـة وممارسـتها هنـا في أرض إسرائيـل. هـذه هـي المقولـة التـي لا يجـرؤ أحـد عـلى مـا يبـدو عـلى قولهـا، لذلـك فإنّنـا محكومـون بدائـرة الـدم التـي تنتهـي؛ إلّا أنّ هـذه المقولـة هـي المفتـاح الوحيـد للسـلام الحقيقـيّ.

هـذه هـي الغايـة مـن وراء مُخطّـط الحسـم الـذي أطرحـه أمامكـم: لا للمزيـد مـن إدارة صراع متواصـل تختلـف حدّتـه مـن مـرّة لأخـرى؛ بـل للحسـم. لا للمزيـد مـن "مكانـك سرْ" والحلـول التجميليّـة عـبر ملاحقـة البعـوض، بـل تجفيـف المسـتنقع ومعالجـة جـذور المشـكلة حتّـى انتهائهـا. لقـد هربـت دولـة إسرائيـل طيلـة سـنوات وجودهـا مـن معالجـة هـذه الجـذور، ولـن يكـون مـن السّـهل تغيـير هـذا النهـج. إلّا أنّـه ليـس بمقـدور دولـة إسرائيـل أن تسـمح لنفسـها بمواصلـة السّـير مكانهـا في ضمـن هـذه الحـرب السـيزيفيّة عـلى الإرهـاب، ولا يمكنهـا بالتأكيـد تحمّـل إسـقاطات هـذه الحالـة المتمثّلـة بنـزع الشّرعيّـة عنّـا في أرجـاء العالـم.

إنّ مواصلـة إدارة الـصّراع تـؤدّي إلى تـآكل وتصـدّع مكانـة إسرائيـل ومصالحهـا التـي تهمّهـا، وتتسـبّب بـأضرار دائمـة. قـد يكـون مُخطّـط الحسـم صعـبَ الهضم في اللحظـة الأولى، إلّا أنّ المنطـق الكبـير الكامـن فيـه، وكونـه حيويًّـا وضروريًّـا وحتميًّـا، سـيحمل المجتمـع الإسرائيـليّ والمجتمـع الـدوليّ في نهايـة المطـاف عـلى تبنّيـه.

موجز

مـا يعنيـه حسـمُ الـصّراع هـو اتخـاذ قـرار وَعيـويّ -عمليًّـا وسياسـيًّا- بـأنّ ثمـة مكانًـا غربـيّ نهـر الأردن لحـقِّ تقريـرِ مصـيرٍ قومـيّ واحـد: الحـقّ اليهـوديّ. فأصـلًا ليسـت هنـاك -ولـن تقـوم- دولـة عربيّـة في قلـب أرض إسرائيـل تُجسّـد تحقيـق المطامـح القوميّـة العربيّـة فيهـا. لذلـك فـإنّ إلغـاء هـذا الحلـم سـيُقلّص مـن الدافعيّـة لتحقيقـه، وبالتـالي سـيؤدّي ذلـك إلى تقليـص الإرهـاب.

يمـرّ السـبيل إلى تحقيـق هـذا الحسـم أيضًـا عـبر التصريحـات، وذلـك عـبر مقولـة إسرائيليّـة حاسـمة مُوجّهـة للعـرب بأنّـه لـن تقـوم دولـة فلسـطينيّة هنـا بـأيّ شـكل مـن الأشـكال، وعـبر الأفعـال أيضًـا: فـرض السّـيادة الإسرائيليّـة التامّـة عـلى أرجـاء الوطـن في يهـودا والسّـامرة، والحسـم الاسـتيطانيّ الـذي يعنـي إقامـة مـدن وبلـدات جديـدة في عُمـق المنطقـة، وجلـب مئـات آلاف المسـتوطنين الجُـدد للسّـكن فيهـا. هكـذا نُوضـح للعـرب وللعالـم برُمّته أنّ الواقـع السّـاري في يهـودا والسّـامرة هـو أمـر دائـم وثابـت، وأنّ دولـة إسرائيـل لـن تـزول يومًـا، وأنّ الحلـم العربـيّ بإقامـة دولـة في يهـودا والسّـامرة قـد انقـضى بـلا رجعـة. وعليـه، فـإنّ الحسـم الاسـتيطانيّ غايتـه أن يُرسّـخ في أذهـان العـرب والعالـم كلّـه بـأنّ لا مجـال لإقامـة دولـة عربيّـة في أرض إسرائيـل.

في أعقـاب هـذه النقطـة كنقطـة انطـلاق حاسـمة وواضحـة، يتبقـى أمـام عـرب أرض إسرائيـل بديـلان اثنـان (وهمـا ثلاثـة في واقـع الأمـر):

١. مـن يريـد ويقـدر عـلى التنـازل عـن تحقيـق طموحاتـه القوميّـة وممارسـتها، يمكنـه أن يظـلّ هنـا وأن يحيـا كفـرد في الدولـة اليهوديّـة، وأن يتمتّـع طبعًـا بـكلّ الخـير الوافـر والتقـدّم اللذيْـن جلبهمـا ويجلبهمـا الشـعب اليهـوديّ إلى أرض إسرائيـل. سنتوسّـع لاحقًـا بخصـوص مكانـة الذيـن سـيختارون هـذه الإمكانيّـة، ومنظومـة إدارة حيواتهـم.

٢. مـن لا يرغـب أو أنّـه غـير قـادر عـلى التنـازل عـن طموحاتـه وتطلّعاتـه القوميّـة، فإنّـه سـيحصل منّـا عـلى المسـاعدة لدعـم هجرتـه إلى إحـدى الـدول العربيّـة الكثـيرة التـي يُمكـن للعـرب فيهـا مُمارسـة طموحاتهـم القوميّـة، أو إلى أيّ غايـة أخـرى في العالـم.

مـن الجائـز الافـتراض طبعًـا أنّ هذيْـن الخياريْـن لـن يكونـا مقبولـيْن لـدى الجميـع، وسـيكون هنـاك مَـن سـيُصرّون عـلى "الخيـار" الثالـث: مواصلـة مُمارسـة العنـف ضـدّ الجيـش الإسرائيـليّ ودولـة إسرائيـل والسـكّان اليهـود. هـؤلاء المخرّبـون سـيلقوْن "العنايـة" اللازمـة مـن قـوّات الأمـن، وبوطـأةٍ أكـبر ممّـا نفعلـه اليـوم ووسـط ظـروف أكثـر راحـة لنـا.

أمّـا بخصـوص العـرب الذيـن سـيختارون البقـاء هنـا كأفـراد، والتمتّـع بـكلّ مـا يمكـن لدولـة إسرائيـل منحهـم إيّـاه، فإنّـه علينـا أن نُبلـور لهـم نمـوذجَ إقامـة يتضمّـن إدارة الحيـاة المجتمعيّـة الذاتيّـة، ومعـه حقـوق وواجبـات فرديّـة. عندهـا سـيُدير عـرب يهـودا والسّـامرة شـؤون حيواتهـم اليوميّـة بأنفسـهم، وذلـك عـبر مديريّـات بلديّـة لوائيّـة -لا تتّسـم بـأيّ ميـزات قوميّـة- يمكنهـم التصويـت لهـا، بحيـث تقيـم هـذه المديريّـات علاقـات اقتصاديّـة متبادلـة وأخـرى، بينهـا وبـين نفسـها، وبينهـا وبـين السّـلطات المختلفـة في دولة إسرائيـل. فيمـا بعـد، ومـع تقـدّم المسـار وتذويتـه، وبنـاءً عـلى معايـير الانتمـاء وأداء الخدمـة العسـكريّة أو الوطنيّـة، سـيكون مـن الممكـن دمـج نمـاذج مـن الإقامـة وحتّـى المواطنـة.

هـذا هـو المُخطّـط الأكثـر عـدلًا وأخلاقيّـةً وفـقَ أيّ معيـار -تاريخـيّ وصهيونـيّ ويهـوديّ- وهـو الوحيـد الذي سـيُفضي إلى الهـدوء والسّـلام والتعايـش. فالنتيجـة الأصعب مـن الناحيـة الأخلاقيّـة تنتـج عـن محـاولات التوفيـق بـين التّطلعـيْن القوميـيْن ومحاولـة تمكـين وجودهمـا جنبًـا إلى جنـب في قطعـة الأرض ذاتهـا، مـع أنّ هـذه المحـاولات تبـدو أكثـر أخلاقيّـة للوهلـة الأولى (كونهـا تأخـذ بعـين الاعتبـار -ظاهريًّـا- رغبـات الطرفـيْن، وترفـض السّـماح للطـرف المُحـقّ بـأن يحسـم بقـوّة الحـقّ وبحـقّ القـوّة)، وذلـك لأنّ هـذه المحـاولات تُكـرّس الحـرب وسـفك الدّمـاء. وفي مقابـل ذلـك فـإنّ الحسـم الـذي يسـتند إلى حـقّ الشـعب اليهـوديّ عـلى أرض إسرائيـل -الـذي يبـدو هـو الآخـر وللوهلـة الأولى أمـرًا اسـتبداديًّا وأحـاديّ الجانـب- سـيُفضي إلى النتيجـة الأفضـل والأكثـر أخلاقيّـةً: سـيضع حـدًّا لسـفك الدّمـاء وسـيُمكّن مـن تحقيـق تعايـش حقيقـيّ بـين اليهـود وبـين العـرب الذيـن سـيختارون فعـل ذلـك.

هـذه هـي عصـارة المُخطّـط. والآن سـأتركّز في التفاصيـل الأوسـع والأشـمل. لكـن بمـا أنّ هـذا المخطّـط يختلـف جـدًّا عـن الخطـاب المتـداوَل بخصـوص حـلّ الـصّراع، يهمّنـي هنـا أن أكـرّر وأوضـح فرضيّاتـه الأساسـيّة الواقعيّـة والأخلاقيّـة، قبـل الدّخـول في تفاصيلـه:

١. حـلّ الدولتـيْن غـير واقعـيّ ولـن يكـون كذلـك قـط. "دولتـان لشـعبيْن" هـو شـعار خـالٍ مـن أيّ مضمـون، تحـوّل هنـا إلى حـلّ بديهـيّ ووحيـد للـصراع، خصوصًـا بسـبب الوهـم القائـل إنّ الجانب العربـيّ مسـتعدّ لتسـوية جغرافيّـة ومسـتعدّ لقبول دولـة إسرائيـل كدولـة يهوديّـة. ومـرّةً تلـو الأخرى، يتّضـح أنّ هـذه الفرضيّـة الأساسـيّة مغلوطـة. ففـي واقعنـا الحـاليّ سـتكون إقامـة دولـة إرهـاب عربيّـة في يهـودا والسّـامرة انتحـارًا أمنيًّـا خطـرًا، وهـي دولـة سـتكون مسـاحتها أكـبر بعشريـن ضعفًـا عـن دولـة الإرهـاب التـي تقودهـا حمـاس في قطـاع غـزّة. زدْ عـلى ذلـك أنّ انهيـار دول عربيّـة عريقـة عـدّة في السّـنوات الأخـيرة، يجعـل مـن هـذا النمـوذج السـياسيّ أكثـر إشـكاليّة، إذ يصعُـب عـلى المـرء أن يـرى فيـه نموذجًـا مسـتدامًا. حـلّ الدولتـيْن غـير قابـل للتطبيـق، لذلـك حـان الوقـت لطـرح حـلّ يقـوم عـلى إدراك ومعتقـدات أخـرى تمامًـا.

٢. المـشروع الصهيونـيّ المتمثّـل بعـودة شـعب إسرائيـل إلى أرضـه بعـد نحـو ألفـي عـام مـن المنفـى والترحـال والملاحقـات، هـو أكثـر المشـاريع عـدلًا وأخلاقيّـةً التـي حدثـت في العالـم خـلال القـرون الماضيـة وذلـك مـن منظـور تاريخـيّ ودَوليّ ودينـيّ. نحـن مُنحـازون تمامًـا، ونحـن لا نفـترض وجـود "روايتـيْن" متكافئتـيْن بصدقيّتهما وادعاءاتهمـا. إيماننـا بصدقنـا هـو الـذي يمنحنـا البُعـد الأخلاقـيّ للانتصـار ولحسـم الطمـوح العربـيّ المُتناقـض. صحيـح، نحـن نعيـش في عالـم لـم يعـودوا يتحدّثـون فيـه عـن العـدل وصـاروا يتحدّثـون عـن خطـاب الروايـات المختلفـة، وصـار مـن الصّعـب طـرح مثـل هـذه الادّعـاءات، لكـنّ هـذا لا يعنـي أنّ هـذه الادّعـاءات غـير صحيحـة. لقـد أقيمـت دولـة إسرائيـل انطلاقًـا مـن قـوّة الإيمـان بصحّـة القصّـة التوراتيّـة، وموافقـة أمـم العالـم - في لحظـة تاريخيّـة نـادرة- عـلى المسـاعدة في تحقيـق الرؤيـا وإعـادة البلد إلى شـعب إسرائيـل. إنّ التقويـض الزاحـف لقـرار تخصيـص أرض إسرائيـل كلّهـا لشـعب إسرائيـل لـم ينبـع

من اعتبارات تخصّ العدل والعدالة، بل من الخنوع للعنف العربيّ. وهكذا أزيلتْ في المرحلة الأولى منطقة ما وراء نهر الأردن الشّرقيّة من المنطقة المُعدّة لإعادتها لشعب إسرائيل، وذلك لصالح إقامة المملكة الأردنيّة، وفي ما بعد وُضعت خطّة التقسيم التي بشّرت أمام العالم بمعتقد الدولتيْن في أرض إسرائيل.

الإيمان بصحّة الطريق حيويٌّ، ومن يفتقد هذا الإيمان سيكون من الصّعب عليه الدفاعُ عن مطالبة عرب يهودا والسّامرة بالتخلّي عن طموحاتهم وتطلّعاتهم القوميّة، كي يكون بالإمكان تحقيق مطامحنا القوميّة. وقد سبق وأشرْنا أعلاه إلى أنّ "الشعب الفلسطينيّ" الذي يطالب بحقّ تقرير المصير لا يختلف عن الأمّة العربيّة وقبائلها، إلّا في سعيه للقضاء على المشروع الصهيونيّ. ليس في هذا أيّ تجديد طبعًا؛ فقد كان هذا الأمر مفهومًا لدى بن غوريون، وچولدا مئير، ولكلّ القيادات الإسرائيليّة حتّى وقت غير بعيد.

يُضاف إلى ذلك أنّ القوميّة اليهوديّة دفعت هذا البلد نحو الازدهار، الذي لم تقوَ مئات السّنوات من الحُكم العثمانيّ على تحقيقه. يكفينا تصفّح يوميّات سفر وتجوال مارك توين هنا كي نتيقّن من عِظم الخراب والقفر اللذيْن كانا سائديْن هنا قبل عودة الشعب اليهوديّ إلى أرضه. فمع عودة شعب إسرائيل إلى أرضه ازدهرت البرّيّة وتحوّل هذا البلد إلى ما هو عليه اليوم. ونحن نشكّك في مدى اهتمام العالم اليوم بسؤال "لمن تعود هذه الأرض؟"، لو أنّها ما تزال اليوم قفرًا كما كانت عليه قبل الصهيونيّة.

٣. التّحديات التي على دولة إسرائيل مواجهتها هي تحديات غير مسبوقة، لذلك يُمكن بالتالي اقتراح حلٍّ وواقع ناتج عنه، بحيث يكونان خلّاقيْن وغير مَسبوقيْن. إنّ محاولات المقارنة بين الصراع الإسرائيليّ- الفلسطينيّ وصراعات تجري في أماكن أخرى من العالم، وتفحّص الرّاهن والتسويات المستقبليّة وفقًا للمعايير المقبولة في فضّ النزاعات في مواقع أخرى- هي كلّها مغلوطة. ويكاد المرء أن يجزم بعدم وجود أيّ دولة أخرى تواجه تهديدًا وجوديًّا كذلك الذي تضطرّ إسرائيل للتعامل معه منذ تأسيسها. ومن المؤكّد عدم وجود دولة أخرى في العالم أقيمت بعد محاولات إبادة شعب، وهي مُحاطة بعدّة دول لأمّة تسعى للقضاء عليها، وتواجه طيلة الوقت تهديداتٍ محليّة وخارجيّة. لا توجد أيّ دولة قوميّة أخرى في العالم كهذه، تتغذّى جذور محاربتها والرغبة بالقضاء عليها من مُجرّد معارضة وجودها ومُجرّد وجود الشعب الذي يعتبرها بيته الوطنيّ. مواجهة واقع غير مسبوق تُبرّر حلولًا وتسويات غير مسبوقة، قد يكون من الصّعب الدفاع عنها في وضعيّات أخرى، لكن من الممكن بالتأكيد الإصرار عليها وتبريرها في سياق دولة إسرائيل. في ضمن هذا الوضع المُعقّد وغير المَسبوق يجب على دولة إسرائيل مواصلة الحياة كبيت قوميّ للشعب اليهوديّ، وفي حال استوجب ضمانُ ذلك خلقَ بُنًى مدنيّة وديمقراطيّة وقانونيّة جديدة، فيجب ألّا يُخيفنا هذا الأمر. ولو صغنا الأمور وفقًا لمصطلحات الخطاب الدستوريّ المتعارف عليه في إسرائيل لقُلنا إنّ الغاية المَرجوّة هي غاية جديرة وهي تُبرّر خروجًا تناسبيًّا عن المبادئ المقبولة.

٤. مقولة "الإرهاب ينبع من اليأس" هي مقولة كاذبة. ينبع الإرهاب من الأمل؛ الأمل بإضعافنا. يستند الإرهاب إلى الأمل بتحقيق الإنجازات بوساطته: إضعاف المجتمع الإسرائيليّ وإجباره على قبول إقامة دولة عربيّة في أرض إسرائيل. حتّى المخرّبين الانتحاريّين لا ينشطون وسط فراغ، بل من أجل "هدف سامٍ" كما يرونه. وعندما ينعدم هذا الهدف، أو عندما يصبح خاليًا من أيّ مضمون، فإنّ الدافعيّة المُولّدة للإرهاب ستنخفض، وبالتالي سيضعف الإرهاب نفسه بعون الله.

٥. ثمّة تناقض بين التطلّعات القوميّة الخاصّة بالشعب اليهوديّ وبين عرب أرض إسرائيل، لا يمكن التجسير عليه ولا يمكن الإبقاء على هذه التطلّعات سوية. فالتقسيمة الجغرافيّة المصطنعة للأراضي لن تصمد على أرض الواقع. لا يمكن دفع التهديدات الأمنيّة والديمغرافيّة

إلى ما وراء الجدران والخطوط الوهميّة التي رُسمت بشكل قسريّ. المنطقة الواقعة بين البحر ونهر الأردن هي منطقة جغرافيّة وطوبوغرافيّة واحدة، ولا يمكن تقسيمها بشكل دائم وثابت. وفي حال جرى تقسيم المنطقة بشكلٍ ما وحصل العرب على جزء منها من أجل تحقيق وممارسة تطلعاتهم وطموحاتهم القوميّة إلى جانب دولة إسرائيل، فإنّهم لن يتخلّوْا عن طموحهم القوميّ بالقضاء على دولة إسرائيل، وسيظلّون يسعون من أجل تحقيق هذا الطموح، وهذه المرّة عبر نقطة انطلاق أكثر راحةً لهم. لذلك، فإنّ أيّ حلّ يجب أن يستند إلى اجتثاث هذا المَسعى بتحقيق الأمل القوميّ العربيّ بين نهر الأردن والبحر.

٦. مقولة إنّه لا يمكن "قمع" الطموحات العربيّة بتحقيق تجسّد قوميّ في أرض إسرائيل هي مقولة غير صحيحة. لقد ثبتت صحّة هذا الأمر جيّدًا مع عرب أرض إسرائيل مع إقامة دولة إسرائيل، ومن الممكن أن تثبت صحّته - ويجب أن تثبت- في يهودا والسّامرة على المنوال ذاته. عرب أرض إسرائيل ينظرون إلى ما حدث في العام ١٩٤٨ باعتباره الكارثة الكبرى، التي يُسمّونها "النكبة"، حرب الاستقلال، لا إلى "الاحتلال" في حرب الأيّام الستّة (١٩٦٧). وقد اشتملت حرب الاستقلال على طرد لاجئين، وتدمير عشرات القرى العربيّة وإقامة بلدات يهوديّة على أنقاضها، والعيش تحت نظام حُكم عسكريّ جائر على مدى سنوات طويلة لاحقة. على الرغم كلّ ذلك فإنّ عرب إسرائيل عاشوا عشرات السّنوات في سلامٍ تحت الحُكم اليهوديّ، من دون أن يكونوا ضالعين تقريبًا في الإرهاب أو أيّ نشاطات ضدّ دولة إسرائيل. وسببُ ذلك بسيط: فمنذ ١٩٤٨ وحتّى مطلع سنوات التسعينيات كانوا ببساطة معدومي الأمل، أو لنقل من أجل الدقّة: أنّ الأمل بالتخلّص من المشروع الصهيونيّ قد أُجتُثّ مرّةً واحدةً. فعرب إسرائيل الذين عاشوا في تلك الفترة كانوا على يقين بأنّهم لو فازوا في حرب التحرير حاشا وكلّا، لكانوا سيقضون على اليهود بقسوة، كما هو متعارف عليه في الشرق الأوسط بين المنتصرين والمهزومين، وكما يحدث اليوم. لهذا السّبب تطلّعوا بتقدير إلى الرحمة والسّخاء الإسرائيليّيْن اللذيْن عوملوا بهما، وعاشوا هنا بسلام، حتّى قبل أن يتمتّعوا بالحقوق المتساوية- ومن دونها أيضًا. صحيح أنّهم احتجّوا احتجاجاتٍ مدنيّة على التمييز الذي كان قائمًا في الحُكم العسكريّ، وأنّ مظاهراتٍ جرت ضدّ مصادرات الأراضي، إلّا أنّ ذلك جرى من دون تيّارات قوميّة ومن دون سعي لتحقيق رؤيا قوميّة أيًّا كانت.

إنّ التطرّف القوْمَويّ لدى عرب إسرائيل ودعمهم للإرهاب ومُمارسة العنف من طرف عرب يهودا والسّامرة ضدّ دولة إسرائيل، قد بدآ في مرحلة ما مطلعَ سنوات التسعينيات، حين قامت دولة إسرائيل بفعل غبيّ تمثَّل بجلب مُخرّبي منظمّة التحرير الفلسطينيّة من تونس إلى يهودا والسّامرة، وبدأت بتنمية الأمل القوميّ وتعزيزه لدى عرب يهودا والسّامرة. وهكذا، رأينا أنّ الأمل القوميّ الفلسطينيّ الذي سُلّط على عرب يهودا والسّامرة، أعاد إشعال المشاعر والتطلّعات القوميّة لدى عرب إسرائيل وتسبّب في تطرّف قومَويّ خطير بينهم، نحن نعيش نتائجه اليوم.

يجب، وبالإمكان، العودة إلى الأيام التي تلت ١٩٤٨، سواء ألدى عرب إسرائيل أم عرب يهودا والسّامرة. لقد كان ذلك وصفة مُمتازة وقتها، ومن الممكن – ويجب - أن تكون وصفة ممتازة اليوم أيضًا. نحن لا ندّعي رغبة أو قدرة على محو أو تغيير الهُويّة القوميّة؛ لكن بوسعنا - ويجب علينا- تغيير المسعى لتحقيق هذه الرغبة بين البحر والنهر. من الممكن - ويجب- القضاء على الأمل العربيّ بتحقيق التطلّعات القوميّة وممارستها في أرض إسرائيل، وزرع بذور أمل جديد يستند إلى الحياة الفرديّة الطيّبة التي تتفوّق بدرجات على الحياة التي يحياها العرب في كلّ دول الشرق الأوسط المحيطة بنا.

٧. نحن ننظر إلى مدى أخلاقيّة فعل ما وفق امتحان النتيجة، وليس وفقًا للنظرة الأولى. فالواقع يشير إلى أنّنا نُحقّق الواقع الأفضل

مُخطّط الحسم: اليمين يملك مفتاح السّلام

والأكثر أخلاقيّة للطرفيْن عندما نتولّى نحن المسؤوليّة وإدارة المنطقة، وعندما نترك المكان تتحَصّل نتائج عكسيّة. لقد خرجنا من قطاع غزة بسبب رغبتنا بأن نكون "أخلاقيّين" ولرفضنا "السّيطرة على شعب آخر". ومن وقتها نرى كيف أنّ حياة العرب هناك قد تحسّنت من دون أدنى شكّ: فبدلًا من توفير الكهرباء بشكل دائم ومنتظم ها هم يتمتّعون بالكهرباء ستّ ساعات يوميًا فقط؛ وبدلًا من توفر المياه الجارية في الحنفيات فإنّهم يواجهون أزمة مياه كبيرة ستؤدّي إلى كارثة إنسانيّة؛ وبدلًا من توفير العمل والأرزاق نحن نرى أنّ مواطني غزّة يتمتّعون "بحياة رغيدة" في حين أنّ أكثر من خمسين بالمئة منهم عاطلون عن العمل وهم في أجازة قسريّة طيلة العام. عشرات الآلاف منهم من دون مأوًى، ومن دون أيّ بارقة أمل. وبكلمات أبسط: منذ أن خرجنا من قطاع غزّة فإنّ السّكان هناك يحظون بحقوق وحريّات أقلّ بكثير عن السّابق. وهم يفتقرون أيضًا للديمقراطيّة وحقّ التصويت، ولا يملكون إلّا نظام حكمٍ قامعًا تابعًا لحركة حماس التي تستحوذ على غالبيّة الموارد التي يجري إدخالها إلى القطاع، وتستخدمها لأغراض التسلّح وحفر الأنفاق بدلًا من إعادة ترميم القطاع. إنّه وضع يتميّز بكونه أسوأ وأقلّ أخلاقيّة وإنسانيّة بكثير للطرفيْن، إذا ما قارنّاه بالواقع الذي ساد أثناء سيطرة الجيش الإسرائيليّ هناك. ليس من سببٍ للافتراض أنّ الوضع سيكون مختلفًا في حال إقامة دولة في يهودا والسّامرة.

٨. حسم الصّراع أبخس ثمنًا وأصحّ اقتصاديًّا أكثر بكثير من مواصلة إدارته. هناك من يدّعي أنّ فرض السّيادة الإسرائيليّة على مناطق يهودا والسّامرة سيكون باهظ الثمن وسيكون عبئًا على المرافق الاقتصاديّة الإسرائيليّة. أولًا، هذا ادّعاء واهٍ للغاية. فنحن نرى في أرجاء العالم أنّ الدول النامية هي التي تقوم بالذات بإنتاج مُحرّكات النموّ الأكبر، ونرى اقتصادها يكبر وينمو. لذلك فإنّ الحاجة للجَسر على الهوات القائمة بين الاقتصاد الإسرائيليّ والاقتصاد الفلسطينيّ تحمل في طيّاتها إمكانيات كامنة للنموّ الاقتصاديّ الكبير في المرافق الاقتصاديّة الإسرائيليّة. فتطوير جودة الحياة والتكنولوجيا والبنى التحتيّة وسائر مُركّبات الحياة في يهودا والسّامرة ستزيد كلّها من الاستهلاك، وبالتالي النموّ الاقتصاديّ في المرفقيْن (يهودا والسّامرة وإسرائيل). ثانيًا، وبما لا يقلّ أهميّة، مهما بلغت تكلفة فرض السّيادة على المرافق الاقتصاديّة الإسرائيليّة، فإنّها ستظلّ أقلّ كلفةً بكثير من المصاريف الأمنيّة ومن المصروفات غير المباشرة للمرافق الاقتصاديّة التي ستكون مَنوطة بمواصلة إدارة الصّراع، والجولات الحربيّة وما شابه، وهي ستكون أقلّ تكلفة بالتأكيد من تكلفة طرد عشرات آلاف المستوطنين وإعادة توطينهم في نطاق الخطّ الأخضر.

المرحلة الأولى: حسم استيطانيّ

الحسم الأوّل والأساسيّ هو الحسم الاستيطانيّ. علينا أن نوضح في هذه المرحلة بشكل علنيّ وواضح، هذه الحقيقة الأساسيّة: نحن هنا كي نبقى. ونحن نوضح أيضًا أنّ تحقيق طموحنا القوميّ بدولة يهوديّة من النهر إلى البحر، هو حقيقة مطلقة غير مطروحة للنقاش أو التفاوض.

نحن نُحقّق هذه المرحلة عبر نشاط سياسيّ-قانونيّ، أي عبر فرض السّيادة على كلّ أرجاء يهودا والسّامرة، وعبر النشاطات الاستيطانيّة، أي إقامة البلدات والمدن وبَسط البُنى التحتيّة كما هو مُتّبع في إسرائيل "الصغيرة"، وتشجيع عشرات ومئات آلاف الأشخاص الآخرين على الانتقال للسكن في مناطق يهودا والسّامرة. هكذا يمكننا أن نخلق في سنوات معدودة واقعًا واضحًا ومستدامًا على الأرض.

لا شيء أفضل من هذا للتأثير على وعي عرب يهودا والسّامرة، كما أنّه سيساعدهم على التخلّص من وهم الدّولة الفلسطينيّة وسيُوضح لهم أنّ لا أمل بتاتًا في قيام دولة عربيّة إضافيّة غربيّ نهر الأردن. فكما نعلم: الحقائق على الأرض تُغيّر الوعي وتحسمه، والمناطق الاستيطانيّة ستثبت ذلك.

يُضاف إلى ذلك أنّ تطوير الاستيطان الإسرائيليّ في يهودا والسّامرة بشكل سياديّ ومُمأسس سيساعد

عـلى حـلّ ضائقـة السّـكن في دولـة إسرائيـل. ففـي يهـودا والسّـامرة أراضي دولـة كثـيرة وهـي في مركـز البلـد، وبالإمـكان تحويلهـا إلى مناطـق مُتاحـة للسّـكن بأسـعار متدنيـة أكثـر بكثـير مـن المتـداوَل داخـل الخـطّ الأخـضر، الأمـر الـذي سـيؤدّي إلى رفـع العروضـات الإسـكانيّة المقـدور عليهـا في إسرائيـل بمئـات آلاف الوحـدات.

سـيُقلّص هـذا الحسـم البـيِّن والنهائـيّ للـصراع مـن دافعيّـة اللجـوء إلى الإرهـاب. هـذا لـن يحـدث طبعًـا بـين ليلـة وضحاهـا. إنّهـا مسـألة تتطلّـب الوقـت، وخصوصًـا في أعقـاب مـا حـدث في العقـود الثلاثـة الأخـيرة إذ قُمنـا بعمـل غبـيّ تجسّـد في تطويـر الوهـم لـدى العـرب بـأنّ بمقدورهـم إقامـة دولـة هنـا. بعـد كلّ هـذه السّـنوات التـي عوّدْنـا العالـم فيهـا عـلى نهـج "حـلّ الدولتـيْن"، فمـن الطبيعـيّ أن نحتـاج للوقـت لإقنـاع الجميـع بـأنّ هـذا النهـج لـن يتحقّـق. نحـن بحاجـة إلى الوقـت لإقنـاع الجميـع بأنّنـا جدّيّـون، وأنّنـا أعدنـا رسـم طريقنـا مـن جديـد، وأنّ الدولـة الفلسـطينيّة لـن تقـوم، لذلـك فـلا يوجـد أيّ هـدف يُرتجـى تحقيقـه مـن وراء الإرهـاب.

مـن المُرجّـح أن تـزداد الجهـود الإرهابيّـة لـدى العـرب في المرحلـة الأولى؛ فالإحبـاط مـن عجزهـم عـن تحقيـق أملهـم- وهمهـم الـذي طوّرنـاه نحـن بأنفسـنا، سـيزداد، لذلـك سـتتعاظم دافعيّـة وجهـود القيـام بعمليّـات إرهابيّـة، في محاولـة يائسـة أخـيرة لتحقيـق هـذا الأمـل عـلى الرغـم مـن كلّ شيء. لكـن في مرحلـةٍ مـا سـتحلّ المرحلـة التـي سـيتحوّل فيهـا الإحبـاط إلى اليـأس، لدرجة التسـليم والإدراك بـأنّ الأمـر مُحـال. مُحـال تمامًـا. وعندمـا يتغلغـل هـذا الإدراك في الوعـي ويُصبـح الإرهـاب مُمارسـة بـلا هـدف، سـتتضاءل الدافعيّـة لفعلِـه، الأمـر الـذي يعنـي أيضًـا تضـاؤل تجسّـداته الفعليّـة.

أنـا متأكّـد كلّ التأكيـد أنّ الجيـش الإسرائيـليّ قـادر في المرحلـة الانتقاليّـة عـلى مواجهـة التهديـدات المؤقتـة، وذلـك بمعيّـة توجيهـات سياسـيّة حازمـة وقاطعـة، وعـلى هَـزم الإرهـاب واسـتكمال الحسـم الاسـتيطانيّ بحسـم عسـكريّ حـادّ.

المرحلة ب: البديلان والحسم العسكريّ

يتضمّـن الحسـم الاسـتيطانيّ في المرحلـة الأولى اجتثـاث الأمـل العربـيّ بإقامـة دولـة غربـيّ نهـر الأردن، وفي ضمـن هـذا الحسـم سـيُطرح أمـام عـرب يهـودا والسّـامرة مسـاران اثنـان.

١. سلام وهُويّة محليّة

نحـن سـنوفّر أمـلًا جديـدًا أمـام الراغبـين بذلـك مـن عـرب يهـودا والسّـامرة، بضمـان مسـتقبل جيّـد وحيـاة فرديّـة طيّبـة تحـت كنـف الدولـة اليهوديّـة. لقـد أسـدى الشـعب اليهـوديّ لهـذا البلـد صنيعـةً كـبرى: الوفـرة، والتقدّم، والتطويـر، والتكنولوجيـا، وسـيكون مـن دواعـي سروره تمكين كلّ مـن يرغـب بالعيـش هنـا بسـلام مـن التمتّـع بـكلّ ذلـك. فمـن يقـرّر البقـاء هنـا مـن منطلـق كونـه فـردًا يمكنـه التمتّـع بحيـاة طيّبـة أفضـل بكثـير مـن الحيـاة التـي يحظـى بهـا أقربـاؤه وأصحابـه. مـن ضمـن ذلـك حريّـة الحركـة والمعتقـد والتعبـير، ومـا شـابه مـن حقـوق وحُريـات تُميّـز دولـة إسرائيـل الديمقراطيّـة والتقدّميّـة. وستشـتمل هـذه الحيـاة أيضًـا عـلى حـقّ التصويـت للمنظومـة التـي سـتتولّى إدارة شـؤون الحيـاة اليوميّـة.

سيُقسّـم نظـام الحكـم المسـتقلّ لعرب يهـودا والسّـامرة إلى سـتّ مُديريّـات حُكـم بلديّـة لوائيّـة تُنتَخـب في انتخابـات ديمقراطيّـة، وهـي: الخليـل وبيـت لحـم ورام اللـه وأريحـا ونابلـس وجنـين. تلائـم هـذه المديريّـات المبنـى الثقـافيّ والعشـائريّ للمجتمـع العربـيّ، لذلـك فإنّهـا سـتضمّن السّـلام الداخـليّ والازدهـار الاقتصـاديّ. نحـن نـرى أمـام أعيننـا فشـل فكـرة "الدولـة القوميّـة" في الحيّـز العربـيّ، وهـي فكـرة اسـتوردتها مـن أوروبـا الـدول الكولونياليّـة العظمـى. ويـرى الكثـيرون أنّ هـذا الفشـل ينبـع مـن تجاهـل المبنـى العشـائريّ والقبـليّ في المجتمـع العربـيّ. الـدول العربيّـة المزدهـرة هـي دول الخليـج التـي تقـوم عـلى مبنًـى قبـليّ عشـائريّ تقليـديّ.

عـرب الخليـل ليسـوا كعـرب رام اللـه، وهـؤلاء ليسـوا كعـرب نابلـس، والأخـيرون ليسـوا كعـرب أريحـا. حتّـى أنّ اللهجـات العربيّـة المحكيّـة تختلـف مـن منطقـة إلى أخـرى. لذلـك فـإنّ تقسـيمة المديريّـات البلديّـة سـتُفكّك الجماعـة القوميّـة الفلسـطينيّة وطموحـات تحقيقهـا، لكنّهـا سـتحافظ في الوقت ذاتـه على التقسـيمات العشـائريّة-القبليّة وبذلـك ستسـمح بوجـود منظومـة مسـتقرّة لإدارة الحيـاة اليوميّـة مـن دون توتّـرات ومـن دون صراعـات داخليّـة. زدْ عـلى ذلـك أنّ المديريّـات البلديّـة المقترحـة ستُسـيّر منظومـة علاقـات تبادليّـة بينهـا وبـين نفسـها، وبينهـا وبـين دولـة إسرائيـل كذلـك، الأمـر الـذي سـيُمكّن مـن تطبيـق تطويـر اقتصـاديّ إقليمـيّ مسـتقرّ ومسـتدام.

في ظـلّ غيـاب الإرهـاب والتهديـدات الأمنيّـة سـيكون بمقـدور سُـكّان المُديريّـات البلديّـة الإقليميّـة التمتّـع

عصابات المستوطنين من أنصار "الصهيونية الدينية" يعربدون في حوارة في ٢٦ آذار ٢٠٢٣. (أ.ف.ب)

بحُريّة الحركة والتنقّل، وبالقدرة على دخول البلدات الإسرائيليّة في يهودا والسّامرة وداخل دولة إسرائيل لغرض العمل والاحتياجات الإنسانيّة، وذلك سيعود بالفائدة على الطرفيْن.

كما سبق وأسلفنا، سيكون عرب يهودا والسّامرة قادرين على إدارة شؤون حياتهم اليوميّة بأنفسهم، لكن لن يكون بوسعهم في المرحلة الأولى التصويت للكنيست الإسرائيليّ. سيضمن هذا الأمر وجود أغلبيّة يهوديّة في كلّ ما يخصّ اتخاذ القرارات في دولة إسرائيل. وكما سنُسهب لاحقًا، فعلى الرغم من أنّنا نتحدّث هنا عن واقع غير سويّ تمامًا من ناحية حقوق المواطن إلّا أنّ الحديث يدور هنا عن واقع معقول بكلّ تأكيد، وحتّى أنّه سيكون الواقع الأفضل في ظلّ الظروف المُركّبة الخاصّة بدولة إسرائيل في الحيّز الشرق أوسطيّ. وسيكون بالإمكان على المدى البعيد تحسين المُركّب الديمقراطيّ الخاصّ بالمُخطط عبر تسوية إقليميّة واسعة مع الأردن، ستسمح لعرب يهودا والسّامرة بالتصويت للبرلمان الأردنيّ وبالتالي مُمارسة حقّهم بالتصويت لبرلمان سياديّ. وثمّة تحسين آخر يمكن فحصه مستقبلًا وبعد التأكّد من صدق نوايا وتسليم أولئك الذين سيفضّلون البقاء هنا، وهو إشراك عرب يهودا والسّامرة الذين سيبقون هنا في القرارات المدنيّة داخل دولة إسرائيل، لكن ليس في القرارات القوميّة. هذا الأمر يُلزم بإجراء تغييرات دستوريّة من الجدير مناقشتها لاحقًا. ومن الممكن الأخذ بعين الاعتبار كإمكانية ثالثة منحهم المواطنة الكاملة، بما في ذلك التصويت للكنيست، وفقًا لعدد السكّان العرب الذين سيطلبون فعل ذلك وبموازاة التعبير عن الولاء المُطلق للدولة اليهوديّة بوساطة الخدمة العسكريّة الإلزاميّة، أسوةً بمواطني الدولة الدروز الذين ربطوا مصيرهم بدولة إسرائيل كدولة يهوديّة، وهم يعيشون معها في شراكة شجاعة.

لا، هذه التسوية التدريجيّة لا تجعل من دولة إسرائيل "دولة أبرتهايد". فنظام الحرّيات لا يبدأ وينتهي بالحقّ في التصويت والترشّح للانتخابات. لا شكّ في أنّ هذا الحقّ هو واحد من الحقوق الأساسيّة الديمقراطيّة، إلّا أنّه ليس الحقّ الوحيد القائم في صُلب تعريف هذا النظام. نحن معتادون اليوم على إدراج منظومة كاملة من الحرّيات والحقوق تحت عنوان "ديمقراطيّة": الحقّ بالحياة، والكرامة والملكيّة، حرية

المُعتقد والتعبير والحركة، وغيرها. القسم الأكبر من هذه الحقوق والحُرّيات سيُمنح في إطار المُخطّط لعرب يهودا والسّامرة، ومن ضمنها الحقّ بالتصويت للمُديريّات البلديّة التي تدير شؤون حيواتهم اليوميّة. وحتّى مع غياب حقّ التصويت لبرلمان سياديّ بالكامل فنحن لا نتحدّث هنا عن نظام حُكم أبرتهايد، بل عن عنصر واحد ناقص من سلّة الحُريّات كأقصى حدّ، أو يمكن صياغة ذلك بأنّه نقص في نَصاعة الديمقراطيّة.

الحقيقة المُسلّمة والبديهيّة التي تقول إنّ "الديمقراطيّة من دون حق الجميع الكامل والمتكافئ بالانتخاب والترشّح ليست ديمقراطيّة" تخدم المُريدين الحمقى لـ "حلّ الدولتيْن"، وهي تُمكّنهم من ترهيب الجمهور الإسرائيليّ وترويعه والادّعاء بأنّه من دون إقامة دولة إرهاب عربيّة في قلب أرض إسرائيل، فإنّ دولة إسرائيل ستضطرّ للاختيار بين كونها دولة يهوديّة وبين كونها دولة ديمقراطيّة. هذا ببساطة مُنافٍ للحقيقة. بالإمكان فرض السّيادة الإسرائيليّة على كلّ مناطق يهودا والسّامرة من دون منح العرب القاطنين فيها حقّ التصويت للكنيست منذ اليوم الأوّل وضمان بقاء إسرائيل دولة ديمقراطيّة. لن تكون ديمقراطيّة مكتملة لكنّها ستظلّ ديمقراطيّة. لن تكون مكتملة لأنّ الواقع ببساطة ليس كاملًا. وكما سبق وكتبنا في البداية، فإنّ دولة إسرائيل تواجه تحديًا وجوديًّا غير مسبوق، وإذا كان النموذج الذي سيُمكّنها من الوقوف في وجه هذا التحدّي يشمل نقصًا معيّنا على المستوى الديمقراطيّ فإنّ هذا الثمن معقول بكلّ تأكيد. وضعيّة إسرائيل هي وضعيّة خاصّة ومتفرّدة، لذلك علينا ألّا نُصاب بالذعر من أنّ مواجهة هذه الوضعيّة ستكون هي الأخرى خاصّة ومتفرّدة.

أمّا بما يخصّ الديمقراطيّات الغربيّة، فتشير التجارب بالمناسبة إلى أنّ هذه الديمقراطيّات خلّفتْ من ورائها قيم الديمقراطيّة حين أُضطرّت لمواجهة تحدّيات أمنيّة أبسط بكثير. هذا ما فعلته الولايات المتّحدة الأميركيّة في العراق وأفغانستان وحتّى مع مواطنيها بعد تفجير البُرجيْن في نيويورك، وهذا ما تفعله اليوم الدول الغربيّة في مواجهتها الإرهاب في ضمن حدودها. بوسع دولة إسرائيل أن تكون فخورة بالشّكل الذي تتعامل فيه مع تحدّياتها الوجوديّة. وحقيقة أنّ التسويات التي ستتبلور بعد مرحلة الحسم لن تكون مثاليّة في مركّباتها الديمقراطيّة، لا تعني وجوب الانتقاص من هذا الأمر.

من المهم بمكان أن نتذكّر أنّ البدائل أسوأ بكثير: إقامة دولة فلسطينيّة تُشكّل خطرًا على وجود دولة إسرائيل، ومنح حقّ التصويت الكامل والفوريّ لعرب يهودا والسّامرة سيؤدّي إلى نقص كبير في المُركّب اليهوديّ لدولة إسرائيل. وإذا أُضطررتُ لاختيار المكان الذي سأسقُط عليه نتائج الواقع المُركّب وغير المثاليّ الخاصّ بدولة إسرائيل، هل سأُسقُط ذلك على المستوى الوجوديّ، أم على المستوى اليهوديّ، أم المستوى الديمقراطيّ، فإنّ قراري سهل. زدْ على ذلك أنّ هذا الوضع قائم في دولة إسرائيل منذ خمسين عامًا في سياق عرب شرقيّ القدس: فهم يتمتّعون بمكانة مُقيمين وليسوا مواطنين، ودولة إسرائيل لم تتوقف عن كونها دولة ديمقراطيّة نتيجةً لذلك.

يُضاف إلى ذلك ما حدث في العقود الأخيرة، وخصوصًا في أعقاب الانقلاب الدستوريّ وكجزء منه، إذ إنّ دولة إسرائيل نقلت صُلب الديمقراطيّة من المدلولات البسيطة لـ "سلطة الأغلبيّة" -التي يُشتقّ منها الحقّ بالانتخاب والترشّح وهي في الوقت ذاته وسيلة تحقيقها- إلى منظومة من القيم والحقوق، وهي "قيم الديمقراطيّة الأساسيّة"، التي لا يمكن المسّ بها حتّى بوساطة جهاز الانتخاب بالأغلبيّة. وهكذا انتقل مركز الثقل الخاصّ بالديمقراطيّة من الجهاز الانتخابيّ إلى قيم وحقوق أساسيّة. ولسببٍ ما، نرى في ما يخصّ السّياق الفلسطينيّ كيف أنّ أولئك الذين يُنادون بالديقراطيّة الجوهريّة يدعون فجأةً إلى التمسّك بالجهاز الانتخابيّ التقنيّ الخاصّ بالديمقراطيّة الشّكلانيّة ويتجاهلون سائر الأمور الأخرى، وبالأخصّ انتهاك الحقوق الذي يجري في الجانب الفلسطينيّ، وهو انتهاك صعب ويوميّ. في المُخطّط المطروح أمامكم سيتمتّع عرب يهودا والسّامرة بمُجمل القيم والحقوق والحُريات الديمقراطيّة التي أضحت مهمّة للغاية في العقود الأخيرة.

ليس ثمّة أيّ أساس للتقدير القائل إنّ نظام الحكم الخاصّ بالدولة الفلسطينيّة، في حال قامت لا سمح الله، سيكون مختلفًا عن المُتّبع والدارج في الدول الشرق أوسطيّة من حولنا، وعن الدارج والمُتّبع في السلطة الفلسطينيّة في أيّامنا هذه (لم تُجرَ فيها انتخابات حُرّة منذ أكثر من عقد كامل). وفي

امتحان النتيجة ستكون لعرب يهودا والسّامرة تحت الحُكم الإسرائيليّ حقوقٌ أكثر بكثير من الحقوق التي يتمتّعون بها اليوم، ومن أيّ حقوق سيتمتّعون بها مستقبلًا تحت أيّ شكل من أشكال الحُكم العربيّ، حتّى لو لم يُمنحوا في المرحلة الأولى الحقّ بالتصويت لانتخابات الكنيست. مَن يتجاهل انتهاك الحقوق الديمقراطيّة في الأنظمة العربيّة ويسعى لإقامة كيان قوميّ لعرب يهودا والسّامرة، يُثبت في واقع الأمر أنّه لا يكترث حقيقةً لوضعيّة حقوق عرب يهودا والسّامرة بعد إقامة هذا الكيان. الأمر الوحيد الذي يهمّه هو ألّا يتّهمه العالم بأنّه دولة "أبرتهايد". أنا مُقتنع بأنّ عرب يهودا والسّامرة سيتمتّعون تحت الحُكم الإسرائيليّ بحقوق وحُريات ديمقراطيّة أكثر بكثير من أيّ نظام حكم آخر. لذلك، فإنّ نظرة شاملة لا تتركّز فقط في أيّ تهمة ستُوجّه إلينا أم لا، بوسعها أن تشير إلى أنّ "مُخطّط الحسم" يحظى بأفضليّة على المستوى الديمقراطي أيضًا.

يهمّنا القول في ختامِ هذه النقطة إنّه لا فارق من الناحية الديمقراطيّة بين المُخطّط السياسيّ الذي وضعه رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو، وبين المُخطط الذي أمامكم. فنتنياهو يُعرّف الكيان القوميّ العربيّ الذي يسعى لإقامته في يهودا والسّامرة على أنه "أقلّ من دولة"، وهو بهذا يُجسّد حقيقة أنّه لا ينوي -وبحقّ- السماح لذلك الكيان السياسيّ بإقامة جيش والسيطرة على الحدود والمجالَيْن الجويّ والبحريّ، والفضاء السيبرانيّ. ما دُمنا نسيطر على تعريف الحدود السياديّة لذلك الكيان العربيّ فإنّ هذا يعني أنّ الحديث لا يجري عن دولة سياديّة حقيقيّة، وعليه فإنّ حقّ التصويت الذي سيتمتّع به عرب يهودا والسّامرة لن يكون حقًا مكتملًا. هذا "ثمن" يُدركه نتنياهو أيضًا، وهو يدرك أنّه من الضروري دفع ثمن على المستوى الديمقراطيّ، بغية ضمان أمن ووجود دولة إسرائيل. ومن هذه الناحية، لا فرق بين الوضعيّة التي ستكون عندها وبين الوضعيّة الحاليّة، التي يتمتّع فيها عرب يهودا والسّامرة بحقّ التصويت للبرلمان الفلسطينيّ معدوم السّيادة، وبين الوضعيّة التي ستنشأ وفق هذا المُخطّط الذي يُفيد بأنّ عرب يهودا والسّامرة سيُصوّتون للمديريّات البلديّة. في كلّ البدائل سيملكون حقّ التصويت الفعليّ للجهاز الذي يدير حياتهم بشكل عمليّ وفعليّ، لكنّه ليس حقًّ تصويتٍ أيديولوجيًّا لبرلمان سياديّ. إذا كان مُخطّط نتنياهو ينجح في الامتحان الديمقراطيّ، فإنّ هذا المُخطّط ينجح أيضًا. الفارق هنا أنّ نتنياهو يحافظ في مُخطّطه على وجود كيان قوميّ جمعيّ للعرب في يهودا والسّامرة، وهو كيان ذو تطلّعات وطموحات قوميّة تناقض تطلعاتنا نحن، أمّا في مخططنا فهذا غير موجود. وهذا الأمر - كما سبق وأشرنا - هو نقطة أفضليّة إستراتيجيّة لهذا المُخطّط، تضمن التوصّل إلى سلام بدلًا من تكريس الصّراع وبقائه.

٢. الهجرة

البديل الثاني مُخصّص لعرب يهودا والسّامرة الذين سيستصعبون التنازل عن تحقيق مطامحهم القوميّة. مَن يعجز عن البقاء هنا كفرد مستقلّ يتنازل عن حلم تحقيق طموحاته وتطلّعاته القوميّة، فهو مَدعوّ للذهاب وتحقيقها في إحدى الدول العربيّة الكثيرة من حولنا، أو أن يبحث عن مستقبل أفضل في أوروبا أو أميركا الجنوبيّة أو دول أخرى، كما يفعل عرب كُثُر من حولنا، بحيث لن يضطرّ للعيش في دولة اليهود.

لقد لوّح اليسار الإسرائيليّ لسنوات طويلة برايةِ الفصل والأغلبيّة اليهوديّة، أي أنّه يدعو وبمنهجيّة لضمان وجود نسبة عالية من اليهود في دولة إسرائيل، وهو يُفضّل الفصل على العيش مع العرب، وها هو لسبب ما يتحفّظ من الوسيلة النزيهة والناجعة لتحسين الواقع الديمغرافيّ ألا وهي التشجيع على الهجرة. ومن ضمن الادّعاءات الرائجة أنّ "العرب ليسوا مهاجرين وهم ملتصقون بأراضيهم"، أو أنّ "الهجرة هي طرد قاسٍ"، وحتّى أنّ "لا أحد يريد استيعاب وتوطين المهاجرين العرب". هذه الادّعاءات -وليغفر لي الجميع- مُفنّدة كلّها.

فلنبدأ بالادّعاء الأوّل: يبدو لي أنّ لا حاجة اليوم لطرح الكثير من الادّعاءات بغية إثبات أنّ الهجرة هي خيار مطروح لدى العرب، وهو خيار يُقبل عليه الكثيرون اليوم - من يهودا والسّامرة ومن الدّول العربيّة - على الرغم من أنّ الهجرة تخضع للكثير من القيود، ولا تحظى بأيّ تشجيع. نحن نرى أنّ الهجرة ستتحوّل إلى ظاهرة واسعة الانتشار أكثر من اليوم لو حققنا واقعًا يُسهّل على عمليّة الهجرة، من خلال توفير الدعم اللوجستيّ للمعنيّين بالبحث عن حظوظهم في بلاد أخرى.

لا، نحن لا نتحدّث هنا عن نوايا لطرد وحشيّ، ولا عن غمر الدول بلاجئين معدَمين؛ الهجرة التي نتحدّث عنها هي هجرة تجري سلفًا عن طواعية ومن منطلق البحث عن مستقبل أفضل، لأشخاص يملكون المؤهلات الملائمة والقدرات الاقتصاديّة لاستيعابهم في البلدان الجديدة. نحن لا نتحدّث عن هجرة في قوارب متهالكة، بل عن ظاهرة عصريّة منتشرة جدًّا تتلخّص في الصعود إلى طائرة للبحث عن مستقبل مرتّب، "ريلوكيشن" لبلدان تمنح فرصةً لمستقبل أفضل، واستيعاب الهجرة في بيئة تتألف في معظم الحالات من مهاجرين لهم خلفيّات متشابهة.

أمّا بخصوص الادّعاء الثالث - من سيرغب باستيعابهم؟ - فهو ادّعاء عارٍ عن الصحّة. يستصعب العالم التعامل مع موجات لجوءٍ لمهاجرين مُعدَمين، لكنّ دولًا كثيرة في العالم تفتح ذراعيْها للمهاجرين ذوي التأهيل المهنيّ والتمويل لأسباب كثيرة ومختلفة، وهذا ما ستكون عليه الهجرة العربيّة من يهودا والسّامرة.

يُمكن لدولة إسرائيل - وحَريّ بها ذلك - أن تكون سخيّة تجاه العرب الذين سيفضّلون العيش في بلدان أخرى، وأن تمنحهم هبة ماليّة تُمكّنهم من الانتقال بشكل محترم وناجح، وهذه الهبة ستكون من جهة إسرائيل هبة وداع.

لقد انبنت الصّهيونيّة على التبادل السكّانيّ: هجرة واسعة لليهود من البلدان العربيّة وأوروبا إلى أرض إسرائيل، طواعيةً أم قسرًا، وخروج أعداد كبيرة من العرب كانوا يعيشون هنا - طواعيةً أم قسرًا - إلى الحيّز العربي المُحيط. ويبدو أنّ هذا المسار التاريخيّ ما يزال بحاجةٍ لاستكماله، الأمر الذي سيضمن بوضوح مستقبلًا من السّلام.

٣. الحسم العسكريّ

سيكون هناك مَن سيستصعبون التسليم بمسألة حسم الصراع - في البداية على الأقلّ، وسيختارون مواصلة نضالهم العنيف ضدّ دولة إسرائيل. ونحن علينا التصرّف في الحرب كما في الحرب: بوسعنا وعلينا أن ننتصر. من يعتقد أنّه سيبقى هنا وسيسعى طيلة الوقت لُممارسة العنف ضدّ حقّ وجود دولة إسرائيل كدولة الشعب اليهوديّ، سيجد جيش الدفاع الإسرائيليّ مُصمّمًا لإخضاعه بعون الله بوساطة الحسم العسكريّ. نحمد الله أنّ جيش الدفاع الإسرائيليّ هو جيش قويّ وذكيّ، وبوجود توجيه سياسيّ حازم وقاطع فإنّه قادر من دون شكّ على إخضاع المخرّبين خلال وقت قصير. وهو قادر على قتل من يجب قتله، وعلى جمع السّلاح حتى آخر رصاصة، وإعادة الأمن والأمان لمواطني دولة إسرائيل.

العرب الذين لن يتنازلوا عن طموحاتهم وتطلّعاتهم القوميّة ولكنّهم سيمتنعون عن اتخاذ خطوات تقويضيّة لن يُمسّوا بأذًى. هذا المُخطّط لا يتوقّع أن يُحبَّ الجميعُ دولة إسرائيل، وأن يؤدّوا التحيّة العسكريّة لعلمها ويُنشدوا نشيدها الوطنيّ. يكفينا أن يتخذوا قرارًا عمليًّا بعدم محاربة جيش الدفاع الإسرائيليّ ودولة إسرائيل كي نُدرك أنّهم توصّلوا إلى تسويةٍ وقبول للواقع الجديد. يُمكن للولاء - وعليه- أن يكون شرطًا للحصول على حقوق مختلفة والتقدّم في سلّم النماذج المختلفة من الإقامة والمواطنة، مع أنّ هذا الولاء ليس دلالةً على مُجرّد التسليم بالأمر.

إنّ طرح الإمكانيّات المختلفة أمام العرب يعني في واقع الأمر أنّنا نتعامل مع مُجمل الردود الإنسانيّة المحتملة على الواقع الجديد. البشر ينشطون ويتصرّفون انطلاقًا من دوافع تخصّ الرّاحة الشخصيّة، إلى جانب دوافع تخصّ الهُويّة الدينيّة والقوميّة؛ وهم يتصرّفون وفقًا لما هو ممكن، أو وفقًا لأيديولوجيا لا تأخذ الواقع بعين الاعتبار. الواقع الجديد الذي يخصّ الحسم الإسرائيليّ سيُوضح أنّ لا مكان لحركتيْن قوميّتيْن في أرض إسرائيل، وسيدفع الناس الواقعيّين الذين ينشطون في ضمن حدود الممكن إلى اختيار بديلٍ من البديليْن المطروحيْن أمامهم. هناك من سيُفضّل الرّاحة والأمان اللذيْن ستوفّرهما الحياة تحت رعاية الدولة اليهوديّة، لمعرفتهم بأنّ تطلّعاتهم القوميّة لن تتجسّد في الدولة التي اختاروا العيش فيها؛ وهناك من سيستصعبون التنازل عن روايتهم القوميّة الفلسطينيّة، التي ترى في الصّهيونيّة عدوًا مُرًّا وسيفضّلون البحث عن حظوظهم في مكان آخر: في دولة عربيّة يمكنهم فيها مُمارسة هُويّتهم الدينيّة- القوميّة، أو حتّى في دولة غربيّة- المهمّ ألّا يعيشوا تحت حُكم الصهاينة. وكما سبق وذكرنا، سيكون مَن يُفضّلون مواصلة القتال وستقوم قوّاتنا بإخضاعهم بسرعة وبتصميم. وبهذا فإنّ مُخطّط الحسم يتطرّق إلى كلّ الردود الممكنة من طرف عرب يهودا والسّامرة على الواقع الجديد. لكنّ ثمّة أمر واحد لا يسمح به هذا المُخطّط: مواصلة الوجود الموازي

لطموحَيْن قوميّيْن عينيّيْن بخصوص هذه الرقعة من الأرض؛ هذا وجود يُكرّس الصراع ويحكم علينا "بإدارة الصّراع" بدلًا من حسمه.

يمكننا التقدير بأنّ هذا المسار سيتطلّب سنواتٍ لتحقيقه. فعمليّة الاقتناع الداخليّ العميق لدى العرب بفقدانهم الأمل القوميّ، وهضم الواقع الجديد واختيار أحد البديلَيْن المقترحَيْن في المُخطط، سيتطلّبان القليل من الوقت، وفي هذا الوقت سنكون مطالبين بالصّبر والأناة. وكما ذكرتُ سابقًا، أنا واثق تمام الثقة بأنّ جيش الدفاع الإسرائيليّ قادر بعون الله على مساعدتنا في عبور هذه المرحلة الانتقاليّة بأمان. وسندرك تمامًا أنّ الثمن الذي سندفعه في المرحلة الانتقاليّة كان مُجديًا للغاية، حين سنتوصّل في نهاية هذا المسار إلى الهدوء والسّلام والتعايش مع مَن سيختارون البقاء هنا، وفق شروطنا الجيّدة والمنطقيّة.

بتقديري أنّ الحسم الاستيطانيّ سيتكفّل بغالبيّة ما نودّ إنجازه في السنّوات الأولى. فوقف الانشغال المهووس لدى القيادة الإسرائيليّة بالصّراع وبمحاولة "حلّه"، والتركّز في تطوير المنطقة من خلال ترسيخ شواهد واضحة للسّيادة الإسرائيليّة، ستؤدّي إلى تعقّل العرب، وإلى إبطال أيّ جدوى من مواصلة إدارة الجانب العربيّ للصّراع بشكل عنيف. وسرعان ما سيتّضح أنّ الإرهاب عقيم وهو يمسّ بالأساس - وبشكل شبه حصريّ - بالمبادرين له وببيئتهم الدّاعمة. في المقابل، سيُعرض الأمل المُتمثّل بالتسليم مع الواقع الجديد ومع الحياة الطيّبة التي ستكون بانتظار كلّ مَن يختار المضيّ في هذا السبيل- هنا أو وراء البحار.

التعامل مع التّحديات

١. ردّ فعل المنظومة الدَّوليّة

فلنعترف بالحقيقة: من الصعّب اليوم أن نوجّه انتقاداتنا إلى المجتمع الدَّوليّ. فعلى مرّ العقود كانت إسرائيل الرسميّة تعرض موقفًا داعمًا لإقامة دولة فلسطينيّة، حتّى أنّها تعرض هذه الفكرة كفكرة عادلة وأخلاقيّة. على مرّ هذه السنوات كانت القيادة الإسرائيليّة تقول "نعم، ولكن ليس الآن". "نعم"- الدولة الفلسطينيّة هي حلّ عادل يجب السّعي إليه، "لكن ليس الآن"، وذلك للعديد من الأسباب والأعذار.

ومقابل هذا الموقف يطرح العالم مطلبًا عادلًا بنظره: إذا كنتم أنتم تعترفون أيضًا بأنّ هذا هو الحلّ العادل والأخلاقيّ فعليكم تطبيقه، وبالأخصّ وقف اتخاذ الخطوات التي تُبعد هذا الحلّ، مثل البناء في البلدات الإسرائيليّة في يهودا والسّامرة. ويرى المجتمع الدوليّ أنّ ثمّة حلولًا للمخاوف الأمنيّة الحقيقيّة التي تراود دولة إسرائيل، مثل الضمانات الدوليّة، ورُزم المعونات، والأنظمة العسكريّة الدفاعيّة وغيرها، مع أنّ هذه المخاوف لا يمكن أن تبرّر الامتناع عن دفع هذا "الحلّ" طيلة هذه السّنوات الطويلة. هذا موقف منطقيّ وربما مطلوب، وهو يوضح الوضعيّة الدَّوليّة المُركّبة التي تواجهها إسرائيل.

يعرض مُخطط الحسم نهجًا جديدًا في مواجهة المجتمع الدوليّ، سيعتاد عليه العالم وسيقبله حتى لو تطلّب ذلك بعض الوقت. فأولًا نحن نتحدّث عن مُخطّط يستند إلى العدل. العالم في جزئه الكبير عالم مُتديّن، ومن المفترض به الاعتراف بصلة أرض إسرائيل مع شعب إسرائيل. وحتّى الآن تحدّث العرب عن العدل وتحدّثنا نحن عن الأمن، فيما فضّل العالم العدل، وبحقّ... علينا منذ الآن أن نتحدّث عن العدل نحن أيضًا، وهذه ادّعاءات يمكن أن تكون مقنعة.

ثانيًا، يجب علينا تعزيز الإدراك الذي بدأ يترسّخ في العالم بخصوص عدم معقوليّة "حلّ الدولتَيْن"، الذي أدّت محاولات تطبيقه حتّى الآن إلى موجات من الإرهاب والعنف. يجب علينا أن نُوضح للعالم بأنّ حسم الصّراع واجتثاث الأمل العربيّ بإقامة دولة غربيّ نهر الأردن، هما الطريق الوحيد لضمان وجود وازدهار دولة إسرائيل ووجود سلام وتعايش فيها.

التحدّي الأكبر في هذا السّياق سيكون التحدّي الديمقراطيّ: الحاجة لإقناع العالم بأنّ بديل الحقوق الديمقراطيّة من دون حقّ التصويت للكنيست مرحليًّا على الأقلّ- هو أقلّ البدائل المختلفة سوءًا. هذا تحدٍّ كبير لا شك، لكن بالإمكان تحقيقه. خصوصًا من خلال التوضيح بأنّ سائر البدائل هي أسوأ: إقامة دولة إرهاب عربيّة تُشكّل خطرًا على إسرائيل وتواصل السّعي للقضاء عليها، أو منح حقوق التصويت ما سيضُرّ بالأغلبيّة اليهوديّة في إسرائيل، الأمر الذي سيُعرّضها للخطر ثانيةً.

ثالثًا، سبق وقال مَن هم أفضل مني، إنّ ما يهمّنا لا ما يقوله الأغيار، بل ما يفعله اليهود. نحن لا نتجاهل

العالم؛ فعلينا خوض معركة دبلوماسيّة مهنيّة وذكيّة، وكما سبق وأسلفتُ أنا أؤمن بقوّة الإقناع، أو بإضعاف الانتقادات كأقلّ ما يمكن. لكن لا يمكن السّماح لأنفسنا بالتصرّف وفقًا لمطالب العالم. علينا أن نتصرّف وفقًا لما هو جيّد وصحيح لنا، والجيّد والصحيح لنا هو الحسم وإنهاء الصراع وإحلال الهدوء والسّلام والأمن لدولة إسرائيل، نهائيًّا ومن دون رجعة. وكما قال رئيس الحكومة الراحل مناحِم بيغن، "إذا كان هناك من يلوي أنفه في العالم، فليعشْ مع أنفٍ مُلتوٍ" (الأنف الملتوي دلالة عدم الإعجاب والرضا).

٢. وماذا لو كُنّا على خطأ؟

بعد مرور عشرين عامًا على محاولات فاشلة من اليسار لدفع "حلّ الدولتيْن" قدُمًا، حان الوقت لتجريب مُخطّط يقوم على معتقدات ومدارك يمينيّة وصهيونيّة وإيمانيّة. اليسار يجرّنا منذ عشرين عامًا إلى مغامرات خطرة كلّفتنا حتّى الآن آلاف القتلى والجرحى، في محاولة لتحقيق حلمٍ مُفنَّد ومنقطع عن الواقع. لو واصلنا لا سمح الله السّير في هذه الطريق فإنّنا سنضمن مواصلة وجود الصّراع والثمن الدمويّ الباهظ الذي يُكلّف الطرفيْن. "حلّ الدولتيْن" كان وسيظلّ شعارًا نجح اليسار بدراية كبيرة في تحويله إلى ماركة مُسجّلة ترمز للحلّ الواقعيّ وحتّى الوحيد، على الرغم من أنّه لم يكن كذلك قط. قد يكون مخطّطنا مثارَ شكٍّ وتساؤلاتٍ، لكنّ مُخطّط اليسار قد فشل بشكل واضح ومُثبَت. ما الذي يجب أن يحدث كي نُذوّت أنّ هذا الحلّ غير قابل للتحقيق، وأنّنا نتحدّث هنا عن طموحيْن قوميّيْن متناقضيْن لا يمكنهما ببساطة أن يجتمعا سويةً، وأنّ كلّ حقّ الوجود الخاصّ "بالشعب الفلسطينيّ" يقوم على نفي وجود دولة إسرائيل؟!

يجب علينا أن نجرّب اتجاهًا آخر يختلف جوهريًّا؛ اتجاه يعترف بالواقع ولا يحاول التذاكي عليه. أنا أدعو كلّ القرّاء إلى تبنّي المُخطط والانضمام إلى جهودي لجلب السّلام إلى إسرائيل والمنطقة كلّها أخيرًا.

٣. المعقوليّة السياسيّة

أنا أرى أنّ "مُخطّط الحسم" هو عادل وصحيح، وهو في واقع الحال البديل الوحيد الذي يتحلّى بمعقوليّة تطبيقه على أرض الواقع. على الرغم من ذلك، ولأنّه يختلف عن كلّ ما اعتدنا التفكير به، فإنّ تبنّيه على مستوى الحلبة الجماهيريّة لن يكون أمرًا سهلًا. صحيح أنّ إحداث تغيير إدراكيّ بهذا الحجم هو تحدٍّ، إلّا أنّه ليس مستحيلًا بتاتًا. عندما بدأ أوري أفْنيري بإدارة المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينيّة والحديث عن دولة فلسطينيّة قبل نحو أربعين عامًا كان شبهَ وحيد. فالعلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينيّة التي كانت مُعرّفة آنذاك كمنظّمة إرهابيّة كانت جنحة جنائيّة، ورابين كان معارضًا لقيام دولة فلسطينيّة، وبيريس لم يكن قد تجرّأ على فكرة تقسيم أورشليم. لقد احتاج أفْنيري إلى أكثر من عقدٍ لإدخال مخطّطه المُفنَّد إلى قلب التيّار الرئيس في اليسار الإسرائيليّ، وتحويله إلى المُخطّط الواحد والوحيد. مهمّتنا نحن ستكون أسهلَ بكثير: فمُخطّط الحسم يقوم على الشعور الفطريّ بالإيمان بعدالة طريقنا، وعلى الحسّ والفخر الوطنيّيْن الطبيعيّيْن، وعلى حسّ العدالة والحقّ بتطبيقها، وهي أمور تميّز شرائح آخذة في الاتّساع داخل المجتمع الإسرائيليّ. والمُخطّط يأتي في الوقت الصحيح: الشعور العام باليأس من فشل فكرة "الدولتيْن"، كما ينعكس ذلك في غالبيّة استطلاعات الرأي التي أجريت في السّنوات الأخيرة، الأمر الذي يُمكّن من إعادة التفكير، وهذه هي الفتحة التي يجب على اليمين الإسرائيليّ الدخول عبرها. لا من خلال تسويق الحلّ ذاته بكِساء جديد، بل بطرح رؤيا تختلف عنه كليةً.

أنا أومن بأنّ الكثير من المبادئ الأساسيّة الواردة في المُخطّط ستتغلغل إلى الخطاب العامّ خلال شهور قليلة، وستتحوّل إلى مرجعيّات مركزيّة لإعادة التفكير مُجدّدًا. نحن نتحدّث عن حقائق أساسيّة مثل الإدراك بأنّ الحديث يدور عن طموحيْن قوميّيْن متناقضيْن لا يمكن الجَسر بينهما بوساطة التقسيمات الجغرافيّة المصطنعة على أرض الواقع، وبأنّ الإرهاب ينبع من الأمل لا من اليأس، وبأنّ الديمقراطيّة غير المثاليّة ليست فصلًا عنصريًّا (أبرتهايد)، وبأنّ أخلاقيّات أيّ فعل تُقاس بامتحان النتيجة، وغيرها الكثير. كلّ هذه الأمور ستتغلغل في الخطاب العامّ وفي القلوب، وستُثريها بأنماط تفكير تختلف عن القوالب الفكريّة التي اعتدنا عليها في العقود

الأخيرة. بوساطة هذه الحقائق الأساسيّة سيكون بالإمكان تبنّي هذا المُخطّط، أو مُخطّطات مشابهة تستند إلى حسم الصّراع وإلى الإدراك بأنّ التوصّل إلى السّلام والتعايش يُحتمّان عدم إبقاء جماعة عربيّة ذات طموحات قوميّة في أرض إسرائيل، مهما كانت تعريفات هذه الجماعة ومهما كانت حدودها.

٤. التحدّي الديمغرافيّ

مُخطّط الحسم والتسويات التي ستُبرَم في نهايته تثير تحدّيًا ديمغرافيًّا، مع أو من دون حقّ التصويت للكنيست. الحقيقة أنّ التحدّي الديمغرافيّ مطروح أيضًا - وربما بالأساس- أمام مُريدي "حلّ الدولتيْن"؛ فالادّعاء بأنّ "حلّ الدولتيْن" يتجاوز المشكلة الديمغرافيّة هو وهم، تمامًا مثل الحلّ نفسه. الحيّز القائم بين البحر والنهر هو حيّز ديمغرافيّ وطوبوغرافيّ واحد، والعرب لن يتركوا مواقعهم، خصوصًا إذا ما شجّعنا طموحاتهم وتطلّعاتهم القوميّة. الجدار الحدوديّ لا يؤدّي إلى اختفاء الناس، ولا إلى تلاشي عدائيّتهم.

مع ذلك، أنا لا أعتبر نفسي من مُريدي مدرسة الترهيب الديمغرافيّ. فالنزعة الديمغرافيّة في العقديْن الأخيريْن تصبّ في صالحنا: نسبة الولادة لدى الشّعب اليهوديّ في ارتفاع كبير، لدى جميع الشرائح السكّانيّة، في مقابل انخفاض نسبة الولادة لدى العرب بشكل كبير، عبر جانبيِّ الخطّ الأخضر. ومع الافتراض الواقعيّ بأنّ هذه النزعة ستتواصل فإنّنا لا نتوقع وجود أغلبيّة عربيّة في أرض إسرائيل في العقود المنظورة- بل على العكس. ومع ذلك علينا أن نساعد على حدوث ذلك. لم نتوسّع في هذه المسألة هنا، لكنّ مُخطّط الحسم يجب أن يكون مصحوبًا بعدد من البرامج والمخططات لتحسين ترجيح الكفّة الديمغرافيّة. فتعزيز قوّة إسرائيل وحسم الصّراع سيُسهّلان على استيعاب الهجرة، وسيُعزّزان من النموّ الديمغرافيّ اليهوديّ إلى جانب تشجيع جزء من السكّان العرب على الهجرة إلى بلدان أخرى.

تلخيص

مُخطّط الحسم هو المُخطّط الوحيد الذي يستند إلى رؤيا أرض إسرائيل الكاملة. وهو المُخطّط الوحيد الذي لم ييأس ممّا كان حتّى الآونة الأخيرة رؤيا تجمع اليمين كلّه، وهو لا يشتمل على تعريف كيان قوميّ عربيّ أيًّا كان في أرض إسرائيل. إنّه المُخطّط الوحيد الذي لا يستند إلى إبقاء جماعة عربيّة ذات طموحات وتطلّعات قوميّة، ولذلك فهو المُخطّط الوحيد الذي يعتمد على حسم الصّراع لا تكريسه والحفاظ عليه في درجات حدّة مختلفة. والأهمّ من كل ذلك: إنّه المُخطّط الوحيد الذي يؤمن بإمكانيّة تحقيق حلم السّلام والتعايش، ولا يستند إلى اليأس من هذا الحلم واستبداله بعمليّة انفصال غير ممكنة.